مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (10) العدد (15) 2026
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (15) 2026

العدول في الرتبة في سورة الجاثية

د. مصطفى عبد الرّحمن نمر*

د. فاطمة بلة **

حنان خالد محلول***

(تاريخ الإيداع 5/14 /2026. قُبِل للنشر في 7/19 /2026)

□ ملخّص □

يعدُّ العدول من الأساليب التي يستخّدمها المتكلّم لغايات معنويّة يرمي إليها، ولمقاصد جماليّة ودلاليّة يسعى لتحقيقها، ولا يتقن العدول إلّا المتكلّم المبدع الحقّ، وقد استخدمه العرب الأوائل في مؤلّفاتهم، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى ألسنتهم فالمتأمّل فيه يلاحظ صوراً كثيرة للعدول، جاءت متناسبة مع السياق المطلوب.

ومن هذا المنطلق يتناول هذا البحث جانباً واحداً من جوانب العدول، وهو العدول في الرتبة مراعاة للمقام، وذلك من خلال دراسة سورة الجاثية دراسة وصفيّة لبيان تناسب نظمها مع معانيها ودلالاتها؛ إذ إنّ من وجوه إعجاز النصّ القرآني العدول في الرتبة من خلال التقديم والتأخير بما يتناسب مع السياق، فقد يُعدَل من باب نحوي إلى باب نحوي آخر لقيمة جمالية دلاليّة، ويكون لهذا العدول أغراض مقصودة يتطلّبها السياق، ويكشف النصّ القرآني عن إعجاز ودقّة في اختيار ألفاظه وتراكيبه ومعانيه.

الكلمات المفتاحيّة: العدول، الرتبة، التقديم والتأخير.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة اللاذقية.

** أستاذ مساعد، قسم اللغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة اللاذقية.

*** طالبة دراسات عليا – دكتوراه، قسم اللغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة اللاذقية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (10) العدد (15) 2026
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (15) 2026

Deviation in Word Order in Surah Al-Jathiyah

Dr. Mustafa Abdel Rahman Nimr*
Dr.. Fatima Balla **
Hanan khalid mahlul***

(Received 14/5 /2026. 19 /7/2026)

□ ABSTRACT□

Deviation is considered one of the stylistic methods used by the speaker for semantic purposes intended thereby, and for aesthetic and indicative objectives sought to be achieved. No one masters deviation except the truly creative speaker. The early Arabs used it throughout their compositions, and since the Noble Qur'an was revealed in the language of the Arabs and upon their tongues, the contemplator of it notices many forms of deviation that came in harmony with the required context.

From this standpoint, this research addresses one aspect of deviation, namely deviation in word order in consideration of the situation, through a descriptive study of Surah Al-Jathiyah in order to clarify the suitability of its arrangement with its meanings and indications. Indeed, among the aspects of the miraculous nature of the Qur'anic text is deviation in word order through precedence and delay in a manner that suits the context. One may deviate from one grammatical category to another grammatical category for an aesthetic and semantic value, and this deviation has intended purposes required by the context. The Qur'anic text reveals miraculousness and precision in the selection of its words, structures, and meanings.

Keywords: deviation, word order, precedence and delay.

* assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University.
** assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University.
** PhD Candidatessistant. Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University.

1) مقدّمة:

من المعروف أنّ لكلّ عنصرٍ في النحو العربي ترتيباً خاصّاً، ويكون هذا الترتيب حسب القواعد التي وضعها النحاة، إلّا أنّه قد يُعدل عن هذه القواعد ويتغيّر ترتيب العناصر في الجملة لما يتطلّبه المقام، فالعدول في الرتبة لا يكون اعتباطاً، وإنّما لأغراض بلاغيّة ومقاصد دلاليّة، ولأنّ النص القرآني متفوّق على غيره من النصوص بإعجاز نظمه نجد فيه من المقاصد والأغراض والتوجيهات ما يتطلّب عدم حفظ الرتبة، والعدول عنها بالتقديم والتأخير بما يتناسب مع السياقات المتعدّدة.

1-1 أهميّة البحث وأهدافه:

تكمن أهميّة البحث في محاولة بيان بعض صور إعجاز النصّ القرآني من خلال دراسة ظواهر العدول في الرتبة والتغييرات التي تطرأ على بنية التركيب، وتوضيح الدلالات المختلفة التي أضافها هذا الخروج عن المألوف.

يهدف البحث إلى إثبات تفرّد النصّ القرآني في نظمه من خلال تقديم بعض ألفاظه أو تأخيرها، والدلالات التي أضافها هذا التقديم والتأخير، وذلك من خلال دراسة مظاهر التقديم والتأخير في سورة الجاثية لاكتشاف ما في هذه السورة من إعجاز في نظمها، ومدى تناسب العدول في بنية تراكيبها مع معانيها ودلالتها.

1-2 منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تكون الدراسة وصفيّة تحليليّة، تقوم على الاستقراء، والوصف، ثمّ التحليل للوصول إلى النتائج المطلوبة.

2- ضبط المصطلحات الواردة في البحث:

2-1: العدول:

العدول لغةً من عَدْل وهو أن تَعْدِل الشّيء عن وجهه، تقول: عَدَلْت فلاناً عن طريقه وعَدْلتُ الدّابة إلى موضع كذا، وعَدَل عن الشيء يَعْدِل عَدْلاً وعدولاً: حاد، وعدل الطّريق مال، وهو من قولهم: عَدَل عنه يَعْدِل عُدولاً إذا مال كأنّه يميل من الواحد إلى الآخر[1].

والعدول في اصطلاح النحويين:" خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى"[2].

وقد استعمل سيبويه (ت180هـ) هذا المصطلح في باب (تسمية المذكّر بالمؤنّث) يقول:" اعلم أنّ كلّ مذكّر سميّته بمؤنّث على أربعة أحرف فصاعداً لم ينصرف ، وذلك أنّ أصل المذكّر عندهم أن يُسمّى بالمذكّر، وهو شكلُه والذي يلائمه، فلمّا عَدَلوا عنه ما هو له في الأصل، وجاؤوا بما لا يلائمه ولم يكن منه فعلوا ذلك به، كما فعلوا ذلك بتسميتهم إيّاه بالمذكّر، وتركوا صرفه كما تركوا صرف الأعجمي"[3].

فالعدول عند سيبويه هو الخروج عن الأصل، ومخالفة المألوف.

أمّا عند ابن جني (ت392هـ) فيرى أنّ العدول هو الترك والاستبدال؛ إذ أفرد باباً لمصطلح العدول سمّاه(باب في العدول عن الثّقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف) يقول:" اعلم أنّ هذا يُدفع ظاهره إلى أن يُعرف غوره وحقيقته، وذلك أنّه أمر يعرض للأمثال إذا ثُقلت لتكريرها، فيُترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللّفظان،

---

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمّد أحمد حسب الله وهاشم محمّد الشاذلي، دار المعارف، مصر، المجلد الرابع، مادة (عدل)، ص2841

[2] الشّريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، د.ط، د.ت، ص124.

[3] سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، د.ط، 1992، ج3/235-236.

فيخفّا على اللسان"[1]، فابن جنّي يقصد هنا العدول الصوتي من خلال ما يطرأ على الأصوات أو الأحرف من تغيير أو قلب بما يتناسب مع خفّة اللسان.

ويشير إلى العدول الصوتي في موضع آخر من كتابه في (باب الحرفين المتقاربين يُستعمل أحدهما مكان صاحبه)، يقول: " فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعاً أصليين، كلّ واحد منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دلّ دالّ أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه، عُمِل بموجب الدلالة، وصير إلى مقتضى الصنعة"[2]، ويُفهَم من كلامه أنّ العدول الصوتي يكون من خلال إبدال حرف مكان حرف آخر لما تتطلّبه الدلالة، ولما تستدعيه ضرورة المقام.

وأما عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز) فيستعمل مصطلح العدول في أثناء حديثه عن الكلام الفصيح، فيقول:" اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين، قسم تُعْزى المزيّة والحسن فيه إلى اللّفظ، وقسم يُعزى ذلك فيه إلى النّظم، فالقسم الأول: الكناية والاستعارة والتّمثيل الكائن على حدّ الاستعارة، وكل ما كان فيه، على الجملة، مجاز، واتّساع، وعدول باللّفظ الظّاهر، فما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصّواب وعلى ما ينبغي، أوجب الفضل والمزيّة"[3]، فالجرجاني يقصد هنا العدول الدلالي من خلال الخروج عن المعنى الحقيقي للألفاظ إلى معنى آخر مجازي تتوسّع فيه الدلالة، ويقتضيه السياق.

وأمّا ابن الأثير (ت 637هـ) فيشير إلى العدول الصرفي في أثناء حديثه عن اختلاف الصيغ واتّفاقها، يقول: "وأمّا اختلاف صيغ الألفاظ، فإنّها إذا نُقلت من هيئة إلى هيئة، كنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل، أو من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم، أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل، أو من المستقبل إلى الماضي، أو من الواحد إلى التثنية إلى الجمع، أو إلى النسب، أو إلى غير ذلك، انتقل قبحها صار حسناً، وحسنها صار قبحاً"[4].

فالعدول على المستوى الصرفي هو الانتقال من صيغة إلى أخرى، فهو مرتبط بالكلمة ووزنها وصيغتها، ويتحدّث في موضع آخر من كتابه عن العدول على المستوى النحوي؛ إذ يقول: " وإنّما يُعدَل عن أحد الخطابين إلى الآخر لضرب من التأكيد والمبالغة، فمن ذلك قولنا: (قام زيد)، و(إنّ زيداً قائم)، فقولنا: (قام زيد)، معناه الإخبار عن زيد بالقيام، وقولنا: (إنّ زيداً قائم) معناه الإخبار عن زيد بالقيام أيضاً، إلّا أنّ في الثاني زيادة ليست في الأوّل، وهي توكيده بأنّ المشدّدة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها، وإذا زيدَ في خبرها اللام، فقيل: (إنّ زيد لقائم)، كان ذلك أكثر توكيداً في الإخبار بقيامه، وهذا مثال ينبني عليه أمثلة كثيرة من هذا النوع"[5].

ويُفهم من ذلك أنّ العدول النحوي يكون من خلال ما يطرأ على التراكيب النحويّة من تغييرات وتحوّلات لأغراض مقصودة.

---

[1] ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية المكتبة العلمية، ج3، ص18.

[2] ابن جنّي، الخصائص، ج2، ص82.

[3] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، علّق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص30.

[4] ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب، قدّمه وعلّق عليه: د. أحمد الجوفي ود. بدوي طبّانة، دار نهضة مصر، د.ط، د.ت، ص 293- 294.

[5] ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 234.

ويتحدّث الدّكتور تمام حسان في كتابه (البيان في روائع القرآن) عن الأسلوب العدولي، فيرى أنّ "الأصل في الاستعمال استصحاب الأصل، سواء من حيث المبنى أو من حيث المعنى، ولكن العرب درجت على تصحيح حالات معينة من العدول عن الأصل، وأعطتها من الاعتداد بها ما رقى بها إلى مستوى الصّواب المعتمد على القاعدة"[1].

ويُعرّف في موضع آخر من كتابه الأسلوب العدولي بأنّه" خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدراً من الاطّراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يُقاس عليها"[2].

فالعدول عنده ليس فساداً بخروجه عن القواعد المفترضة بل إنّ من خلاله يتمّ تحقيق جوانب إبداعيّة يلجأ إليها المتكلّم للتعبير عن مقاصد ودلالات متناسبة مع المقام.

ويطلق المحدثون على مصطلح العدول تسميات متعدّدة، يذكر منها عبد السّلام المسّدي (الانزياح، التّجاوز، الانحراف، الاختلال، الإطاحة، المخالفة، الشّناعة، الانتهاك، خرق السّنن، اللّحن، العصيان، التّحريف) [3]، ويرى المسّدي أنّ لفظة (انزياح) قد يمكن أن نصطلح عليها بلفظة (التّجاوز)، أو أن نحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيّون في سياق محدّد وهي عبارة العدول[4].

ويشير الدّكتور أحمد ويس إلى تعدّدية مصطلح العدول أيضاً، فـ" إذا كان لانبثاق المصطلح من دواعٍ تختلف من عصر إلى آخر، فإن نمو الفكر وتطوره، ثم اتّساع رقعة المعارف واكتشاف حقائق جديدة، كلّ ذلك من دواعي انبثاق مصطلحات جديدة[5].

وعلى الرغم من تعدّد المصطلحات يبقى معنى العدول واحداً وهو الخروج عن المألوف، ومخالفة الأصل المفترض في اللغة لمقاصد دلاليّة وجماليّة.

2-2: الرتبة:

الرُّتبة لغةً من رَتَبَ الشيء يَرْتُبُ رُتُوباً، وترَتَّبَ: ثبتَ فلم يتحرَّك، يُقال: رَتَبَ رُتُوبَ الكعب، أيّ انتصب انتصابه، ورتَّبهُ تَرْتيباً: أثْبَتَهُ، والرَّتبة: الواحدة من رَتَباتِ الدرج، والرُّتبةُ والمَرْتَبَةُ: المنزلة عند الملوك ونحوها[6].

والرُّتبة اصطلاحاً: "هي الموقع الذكري للكلمة في جملتها، فيقال: رتبة الفاعل التقدّم على المفعول، ورتبة المفعول التأخّر عن الفاعل، ورتبة المبتدأ أن يتقدّم على الخبر، ورتبة الخبر أن يتأخّر عن المبتدأ "[7].

وقد تطرّق المتقدّمون لقرينة الرتبة في مختلف الأبواب التي وضعوها ابتداءً من سيبويه، ففي (باب الابتداء) يفضّل تقديم المعرفة على النكرة، يقول: " وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يُبتدأ بالأعرف وهو أصل الكلام "[8].

وقد صرّح ابن السراج النحويّ (ت 316هـ) بأنّ مرتبة العامل قبل مرتبة المعمول فيه ملفوظاً به أو مقدّراً [9].

---

[1] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط1، 1993، ص10.

[2] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، ص347.

[3] ينظر: المسدي، عبد السلام: الأسلوبيّة والأسلوب، الدار العربيّة للكتاب، ط3، ص101.

[4] ينظر: المرجع السّابق، ص105.

[5] ويس، أحمد محمد: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2005، ص29.

[6] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، المجلد 3، مادّة (رَتَبَ)، ص 1574-1575.

[7] اللبدي، محمّد سمير نجيب: معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار الفرقان- سوريا، ط1، 1985، ص 92.

[8] سيبويه، الكتاب، ج1، ص329.

[9] ينظر: ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996، ج1، ص 93.

وأمّا ابن جنّي (ت 392 هـ) فيشير إلى الرتبة في (باب في الردّ على مَنْ ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها للمعاني)، يقول: " فأوّل ذلك عنايتها بألفاظها، فإنّها لمّا كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها، ومراميها، أصلحوها ورتّبوها..."[1]

ويرتّب ابن يعيش النحويّ (ت 643هـ) الفعل والفاعل والمفعول به؛ إذ يقول: " رتبة الفعل يجب أن يكون أوّلاً، ورتبة الفاعل بعده، ورتبة المفعول آخراً "[2].

وبناءً على ذلك فإنّ الرتبة عند المتقدّمين هي الموقع الأصلي في الجملة، وقد اعتمدوا عليها بوصفها قرينة معنويّة ولفظيّة لفهم المعنى وأمن اللبس في حال عدم وجود العلامات الإعرابيّة.

أمّا إذا انتقلنا إلى المحدثين فنجد أنّ د. تمّام حسّان قد نظر إلى ظاهرة الرتبة من منظور آخر يختلف به عن المتقدّمين؛ إذ رأى أنّ الرتبة هي "قرينة نحويّة، ووسيلة أسلوبيّة، أيّ إنّها في النحو قرينة على المعنى، وفي الأسلوب مؤشّر أسلوبي، ووسيلة إبداع، وتقليب عبارة، واستجلاب معنى أدبيّ"[3].

فالرتبة وسيلة إبداع يستخدمها المتكلّم بما ينسجم مع ترتيب المعاني في نفسه، ووضعها الموضع الذي يقتضيه السياق.

وبناءً على ذلك يعرّف د. تمّام حسّان الرتبة بأنّها " قرينة لفظيّة، وعلاقة بين جزأين مرتّبين من أجزاء السياق يدلّ موقع كلّ منهما من الآخر على معناه "[4].

أمّا الشريف الجرجاني فيشير إلى الرتبة من خلال مصطلح الترتيب فيعرّفه بأنّه " جعل الأشياء الكثيرة يُطلق عليها اسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى بعض بالتقدّم والتأخّر "[5]، أي إنّ الرتبة هي نفسها ترتيب للعناصر داخل الجملة، سواء كان الترتيب ثابتاً لا يطرأ عليه أي تغيير، أو متغيّراً ينتج عنه تقديم بعض الأجزاء وتأخير بعضها الآخر.

ويجد د. محمّد حماسة عبد اللطيف أنّ أهميّة الرتبة تظهر بوضوح في الهدف الذي علّل النحاة به دخول الإعراب الكلام؛ إذ جعلوا الحركات دلائل على المعاني، والعلامة الإعرابيّة هي التي تتيح الحريّة للرتبة فيتقدّم ما حقّه التأخير، ويتأخّر ما حقّه التقديم مع المحافظة على وظيفة كلّ منهما[6]، فالإعراب يمنح المتكلّم حريّة التقديم والتأخير بحيث يبقى المعنى واضحاً، ولا يختلط مثلاً الفاعل بالمفعول أو المبتدأ بالخبر مهما تغيّر ترتيب الألفاظ ومواقعها.

وتُقسم الرتبة في النحو العربي إلى:

– **رتبة محفوظة:** وهي ثبوت موقع الكلمة في التركيب من حيث التقديم والتأخير، فالرتبة المحفوظة هي "رتبة في نظام اللغة وفي الاستعمال في الوقت نفسه"[7]، ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربي أن

---

[1] ابن جني: الخصائص، ج1، ص 216.

[2] ابن يعيش: شرح المفصّل، صحّح عليه وعلّق حواشي نفيسة بعد مراجعته على أصول خطّيّة بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج1، ص76.

[3] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، ص91.

[4] حسان، تمام: اللغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1994، ص209.

[5] الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص50.

[6] ينظر: عبد اللطيف، محمد حماسة: العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث، جامعة القاهرة، د. ط، 1984، ص314.

[7] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، ص91.

يتقدّم الظاهر على المضمر، والموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، والمضاف على المضاف إليه، والفعل على الفاعل أو نائبه، وفعل الشرط على جوابه، وأن يتأخّر البيان على المبيّن، والمعطوف بالنسق عن المعطوف عليه، والتوكيد عن المؤكّد، والبدل عن المبدل، والتمييز عن الفعل ونحوه، ومن الرتب المحفوظة أيضاً صدارة الأدوات في أساليب الشرط والاستفهام والعرض والتحضيض والتوكيد، وتقدّم حرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف، وأداة الاستثناء على المستثنى، وحرف القسم على المقسم به، وواو المعيّة على المفعول معه[1].

- **رتبة غير محفوظة:** وهي تغيّر موقع الكلمة في التركيب من خلال التقديم والتأخير، فهي "رتبة في النظام فقط وقد يحكم الاستعمال بوجوب عكسها"[2]، وقد تُحفَظ الرتبة غير المحفوظة وتُقيَّد في بعض المواضع، وذلك لأنّ عدم حفظها وتقييدها يؤدّي إلى تفكّك أجزاء التركيب، كما يؤدّي إلى غموض المعنى والتباسه على المتلقي ، فتُحفَظ إذا اقتضى السياق ذلك، وهذا يعني أنّ " الرتبة غير المحفوظة قد تدعو الحال إلى حفظها إذا كان أمن اللبس يتوقّف عليها نحو (ضرب موسى عيسى) ونحو (أخي صديقي)؛ إذ يتعيّن في (موسى) أن يكون فاعلاً، وفي (أخي) أن يكون مبتدأ محافظة على الرتبة؛ لأنّها تزيل اللبس "[3]، وإذا " لم يقع اللبس كما في (أكلت الكمّثرى سلمى) و (إنّ في بيتي صديقي) أمكن للمتكلّم أن يلجأ إلى التقديم والتأخير "[4]، أيّ إنّ وضوح المعنى أو غموضه هو ما يتحكّم بحفظ الرتبة أو عدم حفظها.

ومن الرتب غير المحفوظة: رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول به، ورتبة الفعل والمفعول به، ورتبة الضمير والمرجع، ورتبة الحال والفعل المتصرّف، ورتبة الظرف والجار والمجرور ممّا تعلّقا به، ورتبة التمييز بعد خالفة المدح أو الذمّ[5].

3- التقديم والتأخير:

يُعدّ التقديم والتأخير من أهمّ المباحث التي اعتنى بها المتقدّمون، فهو أسلوب رفيع، ارتبط بفنّ القول من الشعر والنثر وغيرها، يتمّ من خلاله العدول عن الترتيب الأصلي للجملة؛ لإفادة معانٍ دقيقة متناسبة مع السياق، وقد وجد سيبويه أنّ الغرض من التقديم والتأخير العناية والاهتمام، يقول: " كأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانا يهمّانهم ويعنيانهم "[6].

وكان لابن جنّي في كتابه (الخصائص) فصل عن التقديم والتأخير في (باب في شجاعة العربيّة)؛ إذ رأى فيه أنّ التقديم والتأخير على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهّله الاضطرار[7]، أيّ أنّ التقديم والتأخير يكون ضمن قواعد وضعها النحاة، ويضطر المتكلّم أحياناً أن يخرج عنها لغايات ومقاصد.

وأفرد عبد القاهر الجرجاني باباً للتقديم والتأخير، يقول في مطلعه: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف

---

[1] ينظر: حسان، تمام: اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص207.

[2] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، ص91.

[3] حسان، تمام: اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص208.

[4] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، ص93.

[5] ينظر، حسان، تمام: اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص207، وينظر: حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، ص93.

[6] سيبويه، الكتاب، ج1، ص34.

[7] ينظر: ابن جني: الخصائص، ج2، ص382.

لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجدُ سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحوِّل اللفظ من مكان إلى مكان"[1]، فالتقديم والتأخير عند الجرجاني ظاهرة لفظيّة ودلاليّة.

ويرى ابن الأثير أنّ التقديم والتأخير باب عريض، يشتمل على أسرار دقيقة، وهو على ضربين: الأوّل: يختصّ بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أُخِّر المقدَّم وقُدِّم المؤخَّر لتغيّر المعنى، والثاني: يختصّ بدرجة التقدّم في الذكر، لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أُخِّر لما تغيّر المعنى[2]، فكأنّه بذلك يشير إلى التقديم والتأخير حسب القواعد ودلالة الألفاظ على المعنى، والتقديم والتأخير حسب المقاصد ومخالفة الأصل.

أمّا عند المحدثين فقد وجد د. تمّام حسّان أنّ دراسة التقديم والتأخير في البلاغة هي دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه، أيّ إنّها دراسة في نطاقين، أحدهما: مجال حريّة الرتبة حريّة مطلقة، والآخر: مجال الرتبة غير المحفوظة، وإذاً لا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يُسمّى في النحو باسم الرتبة المحفوظة؛ لأنّ هذه الرتبة المحفوظة لو اختلّت لاختلّ التركيب باختلالها[3]، فالتقديم والتأخير عنده هو تغيّر في بنية التركيب، ودراسة لأسلوبه.

ويرى د. السيد خضر أنّ التقديم والتأخير ليس عمليّة لفظيّة للتلاعب بالكلام، بل إنّه عمليّة لفظيّة ودلاليّة في آن معاً، فمتى تقدّم لفظ كان حقّه التأخير، وصدر ذلك ممّن يُعرف عنه الاجتهاد في صياغة البيان، وجب تحليل الكلام لمعرفة الجمال الفنّي الذي يحدثه ذلك المبدع بالتقديم والتأخير[4].

وهذا يعني أنّ ظاهرة التقديم والتأخير تكون بحسب ما يقتضيه السياق والمقام، وليس مجرّد تغيّر في مواقع الكلمات، وبذلك لا يمكن أن يلجأ إليها إلّا المتكلّم المبدع الحقّ للتعبير عن مقاصده وأغراضه.

والتقديم والتأخير نوعان:

1) تقديم على نيّة التأخير:

"وذلك في كلّ شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه"[5]، أيّ أن يتقدّم المتأخّر مع المحافظة على حكمه الإعرابي الذي كان عليه، "كخبر المبتدأ إذا تقدّم على المبتدأ، والمفعول به إذا قدّمته على الفاعل، كقولك: (منطلق زيد) و(ضرب عمراً زيدٌ)؛ معلوم أنّ (منطلق) و(عمراً) لم يخرجا بالتقديم عمّا كانا عليه، من كون هذا خبراً لمبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكون ذلك مفعولاً به، ومنصوباً من أجله، كما يكون إذا أخّرت"[6]، فالتقديم على نيّة التأخير يعني على نيّة أن يحتفظ المتقدّم بوظيفته وإعرابه وبابه النحوي الذي كان عليه عند التأخير.

2) تقديم لا على نيّة التأخير:

"وهو أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه، وإعراباً غير إعرابه"[7]، أيّ أن يتقدّم المتأخّر ولكن لا يبقى حكمه الإعرابي الذي كان عليه بل ينتقل إلى حكم إعرابي آخر مختلف تماماً، "ومثاله ما

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.

[2] ينظر: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص210.

[3] ينظر: حسان، تمام: اللغة العربيّة معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، ص 207.

[4] ينظر: خضر، السيد: فواصل الآيات القرآنيّة (دراسة بلاغيّة دلاليّة)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009، ص92.

[5] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.

[6] المصدر السابق، ص106.

[7] المصدر السابق، ص106.

تصنعه بزيد والمنطلق، حيث تقول مرّة: (زيدٌ المنطلق) وأخرى (المنطلق زيدٌ)، فأنت في هذا لم تقدّم (المنطلق) على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل أن تنقله من كونه خبراً إلى كونه مبتدأ، كذلك لم تؤخّر (زيداً) على أن يكون مبتدأ كمان كان، بل على أن تخرجه من كونه مبتدأ إلى كونه خبراً، وأظهر من هذا المثال قولنا: (ضربتُ زيداً) و(زيدٌ ضربته) فلم تقدّم (زيداً) على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء، وتشغل الفعل بضميره، وتجعله في موضع الخبر له "[1].

وهذا معنى التقديم لا على نيّة التأخير؛ لأنّ المفعول المقدّم لم يعد مفعولاً، وإنّما أصبح مبتدأ، وقد كان هذا المثال أظهر وأوضح؛ لأنّ علامة الإعراب تغيّرت بعد التقديم من النصب إلى الرفع، فكان هذا أظهر وأوضح في الدلالة على أنّ التقديم ليس على نيّة التأخير من المثال السابق الذي لا تتغيّر فيه علامة الإعراب بعد التقديم المفترض[2].

فالتقديم لا على نيّة التأخير لا يُقصد به أن يبقى المتقدّم على وظيفته وإعرابه، ولا أن يحتفظ ببابه النحوي الذي كان عليه عند التأخير، بل أن ينتقل من حكم إلى حكم آخر، ومن باب نحوي إلى باب نحوي آخر، وبالنتيجة يتغيّر إعرابه.

ويوجد التقديم والتأخير في المستويات العليا من نصوص اللغة، ويمثّل القرآن الكريم المستوى الأعلى لنصّ عربيّ بليغ، ليكون لظاهرة التقديم والتأخير حضوراً مكثّفاً فيه بما ينسجم مع المبنى والمعنى، أيّ الناحية اللغويّة والشكليّة والناحية الإيحائيّة والدلاليّة.

4- العدول في الرتبة في سورة (الجاثية):

تتناول سورة الجاثية موضوعات متعدّدة، أبرزها:

- إثبات وحدانيّة الله سبحانه وتعالى من خلال خلقه لِما في السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وتصريف الرياح، وإنزال الأمطار، وجري الفلك في البحار...
- إعجاز القرآن الكريم، والاستهزاء بالذين يؤمنون بغيره؛ لما فيه من دلائل عظيمة على وحدانيّة الله.
- دعوة المسلمين للتجاوز عن إساءة المشركين.
- وصف أحوال بني إسرائيل عندما أعطاهم الله التوراة والدلائل التي توضّح الحقّ من الباطل، ورزقهم الخيرات الكثيرة، وفضّلهم على كثير من الناس، واختلافهم في كتابهم بعد ما آتاهم الله العلم.
- تثبيت النبي (ص) باتّباعه شريعة الله تعالى وأوامره، وعدم اتّباعه أهواء الذين لا يعلمون الحقّ.

وصف حال الأمم يوم القيامة، وهي باركة على ركبها تُدعى لتُحاسب على أعمالها، والمقارنة بين حال المؤمنين وحال المشركين في ذلك اليوم.

4-1: التقديم على نيّة التأخير في سورة الجاثية:

- **تقديم الخبر على المبتدأ:**

﴿حم* تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ* إنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلمُؤْمِنِينَ* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3].

---

[1] المصدر السابق، ص107.

[2] ينظر: شادي، محمد ابراهيم: شرح دلائل الإعجاز، دار اليقين، مصر، ط2، 2013، ص178.

[3] الجاثية: 1-4.

نلاحظ التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر بما يتناسب مع المقام؛ إذ يتقدّم الخبر (في خلقكم) على المبتدأ (آياتٌ) للتفكّر في خلق الإنسان بهذا التكوين العجيب، وبهذه الخصائص الفريدة، وبهذه الوظائف اللطيفة الدقيقة المتنوّعة الكثيرة، فالتركيب العضوي لجارحة واحدة من جوارح هذا الإنسان مسألة تدير الرأس عجباً ودهشةً واستهوالاً[1]، وكأنّ كاف الخطاب هنا (في خلقكم) دعوة إلى التفكّر العميق في خلق أنفسنا؛ إذ إنّ في نفس الإنسان وحده وفي خلقه وتكوينه دلالة واضحة وبيّنة على قدرة الله ووحدانيّته.

كما أنّ عطف جملة (في خلقكم) على جملة (إنّ في السماوات والأرض) للتذكير بنعم الله عزّ وجلّ، فكأنّ هذه النعم متتابعة ومحال على الإنسان العاقل المؤمن نسيانها، وكذلك عطف نعمة خلق الأنفس على نعمة بثّ الدوابّ (وفي خلقكم وما يبثّ من دابّة) للتركيز على نعم الله المتتابعة ودلائل قدرته، والبثّ: " التوزيع والإكثار"[2]، وعبّر الفعل المضارع (يبثُّ) عن تجدّد البثّ واستمراره وتكرّره، وكأنّ تجدّد هذا البثّ جاء متناسباً مع كثرة الدوابّ، واختلاف أصنافها وأنواعها، فهذه الدوابّ لا يحصيها ولا يعلمها إلّا الله سبحانه، وهذا ما يدلّ على قدرته ووحدانيّته.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ* يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُوَاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ* مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَا كَسَبُواْ شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* هَذَا هُدىً وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِن رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[3].

بدأت هذه الآيات بالتهديد والوعيد (ويلٌ) وهذا التهديد (لكلّ أفّاكٍ أثيم)، "والأفّاك: الكذّاب، والأثيم: المتبالغ في اقتراف الآثام"[4]، ونلاحظ استخدام صيغتي المبالغة (أفّاك أثيم) لتأكيد قوّة الكذب، وكثرة اقتراف الآثام، "ولذلك افتتح ذكره بالويل له تعجيلاً لإنذاره وتهديده قبل ذكر حاله"[5].

ثمّ يصف حاله وعناده؛ إذ يسمع آيات الله تُقرأ عليه، فيصرّ على استكباره وعناده متعالياً عن اتّباع الحق، مستمرّاً في اتّباع الباطل، وكأنّه لم يسمع هذه الآيات.

ويتقدّم الخبر شبه الجملة على المبتدأ (لهم عذاب مهين، من ورائهم جهنّم، لهم عذاب عظيم، لهم عذاب من رجزٍ أليم) لاختصاصهم بهذا العذاب دون غيرهم، وللتركيز على العذاب الذي سيلاقونه في آخرتهم جزاءً لأعمالهم، وأمّا تقديم الجار والمجرور (من ورائهم) على المبتدأ (جهنّم) لتأكيد قرب عذاب نار جهنّم منهم؛ إذ إنّهم غافلون عن قرب هذا العذاب منهم، كما أنّهم منكرون له، ومستهزئون به.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، وتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[6].

---

[1] ينظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهر، ط32، ج25، ص3222.

[2] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسيّة، د.ط، د.ت، ج24، ص327.

[3] الجاثية 7-11.

[4] الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق: عادل أحمد الموجود وعلي محمّد معوّض، مكتبة العبيكان الرياض، ط1 1998، ج5، ص482.

[5] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص331.

[6] الجاثية: 27-28.

ويحضر التقديم والتأخير في هذا المشهد بما يتناسب مع السياق؛ إذ يتمّ تقديم الخبر (لله) على المبتدأ (مُلكُ)، للاختصاص، وكأنّ في ذلك إشارة إلى اختصاص مُلْك السماوات والأرض لله سبحانه وحده.

كما أنّ في تقديم لفظ (لله) على (ملك) للتعظيم والتهويل، لتعظيمه جلّ علاه، وللتهويل من يوم قيام الساعة؛ إذ يخسر فيه المعاندون أنفسهم جزاء لأعمالهم.

وما أسهم في رسم مشهد قيام الساعة وكأنّه مرئيّاً أمام المخاطب قوله: (وترى كلّ أمّة جاثية) ومعنى جاثية " باركة مستوفزة، وهي هيئة المذنب الخائف المنتظر لما يكره "[1]، فكلّ أمّة في ذلك اليوم تنتظر مصيرها المحتوم بخوف ورعب.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ ربِّ الْعَالَمِينَ* وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

الفاء هنا لتفريع الحمد والثناء على الله تفريعاً على ما احتوت عليه السورة من ألطاف الله فيما خلق وأرشد وأقام من نُظم العدالة، والإنعام على المؤمنين في الدنيا والآخرة، ومن وعيد للمعرضين واحتجاج عليهم، فلمّا كان ذلك كلّه من الله ودالّاً على اتّصافه بصفات العظمة والجلال، وعلى إفضاله على عباده بنعمة الإيمان، كان حقيقاً بإنشاء قصر الحمد عليه[3].

وتقديم الجار والمجرور (لله) على المبتدأ (الحمدُ) لإفادة الاختصاص والقصر، أيّ الحمد الكامل مختصّ بالله تعالى وحده، ومقصور عليه، وكذلك تقديم في (وله الكبرياء) للاختصاص والقصر أيضاً، والكبرياء: هو"العظمة والجلال والبقاء والسلطان والقدرة والكمال"[4] وكأنّ في ذلك دعوة للمؤمنين ليحمدوا الله الذي هو ربّهم، وربّ كلّ شيء من السماوات والأرض، وربّ العالمين، فالله وحده مَنْ يستحقّ الحمد والثناء على ربوبيّته المطلقة، ودعوة ليكبّروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته وسلطانه وقوّته في السماوات والأرض وما فيهما، وأُتبِع ذلك بصفتي (العزيز والحكيم) " فمع الكبرياء والربوبيّة تكون العزّة القادرة، والحكمة المدبّرة " [5]، وهذا من براعة خواتم السور.

- **تقديم خبر إنّ المشبّهة بالفعل على اسمها:**

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِ لَآيَاتٍ لِلمُؤْمِنِينَ﴾[6].

يتقدّم خبر (إنّ) الجار والمجرور (في السماوات) على اسمها (لآياتٍ) للتأمّل في إعجاز الله وخلقه لما في السماوات والأرض، وكأنّ خلقه لهما كافٍ للدلالة على وحدانيّته.

﴿اللهُ الَّذِي سَخَّر لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[7].

---

[1] الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصحّحه: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1994، مجلد 13، ص153.

[2] الجاثية 36-37.

[3] ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج24، ص377.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص174.

[5] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج25، ص3234.

[6] الجاثية:3.

[7] الجاثية12-13.

وكذلك يتقدّم خبر إنّ (في ذلك) على اسمها (لآياتٍ) للتنبيه والتركيز على نعم الله ومعجزاته الكونيّة، وكأنّ في ذلك دعوة للتأمّل والتدبّر في هذه المعجزات للوصول إلى اليقين في عبادته وشكره.

- **تقديم المفعول على الفاعل:**

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى العَالَمِينَ* وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُواْ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيَاً بَيْنَهُم إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1].

فالله سبحانه أعطى بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوّة، وفضّلهم على أهل زمانهم، وأعطاهم العلم ليميّزوا بين الحقّ والباطل، فاختلفوا في كتابهم، ونلاحظ حضور الأسماء المعرّفة بـ ال في وصف حالهم (الكتاب، الحكم، النبوّة، العلم)، وكأنّها مختصّة بهم وحدهم، واختصاصهم بها دلالة على تفضيلهم بها على غيرهم، وهذا ما يفسّر أيضاً تقدّم المفعول به الهاء في الفعل (جاءهم) على الفاعل (العلمُ)؛ إذ إنّ هذا العلم مختصٌّ بهم وحدهم، فميّزهم الله به دون سواهم من الناس.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اْتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيْهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تذَكَّرُونَ* وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2].

يتقدّم المفعول به وهو الهاء في (أضلّه) على الفاعل (الله) للتركيز على استحقاقه للضلالة باتّباعه أهواءه وملذّاته، وابتعاده عن طريق الحقّ والصواب، فاستحقّ بذلك الضلال والبعد عن الاستبصار، فالنصّ القرآني يرسم هذه الصورة ويتعجّب منها في استنكار (أفرأيت مَنْ اتّخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علمٍ... فمَنْ يهديه)، وكأنّ في هذا الخطاب تحذير وتنبيه للمؤمنين من أن يخضعوا لأهوائهم وملذّاتهم؛ لأنّها ستقودهم إلى الضلال، وستبعدهم عن الهداية، واتّباع أدلّة الحقّ.

"وتقديم الفعل (نموت) على (نحيا) للاهتمام بالموت في هذا المقام؛ لأنّهم بصدد تقرير أنّ الموت لا حياة بعده"[3]، وأنّ الدهر هو الذي ينهي آجالهم، وكأنّ تقدّم المفعول به وهو (نا) في (يهلكنا) على الفاعل (الدهرُ) للتنبيه على هلاكهم باعتقاداتهم الباطلة؛ إذ يقرّون ما لا يعلمون.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِن نَاصِرِينَ* ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُون﴾.[4]

نلاحظ في هذه الآيات التأنيب وإعلان الإهمال والتحقير والمصير الأليم (اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النّار..) ثمّ يعلن مصيرهم الأخير، وهم متروكون في جهنّم لا يُخرجون منها، ولا يُطلب إليهم اعتذار ولا عتاب (فاليوم لا يُخرجون منها ولا هم يستعتبون)، وكأنّنا نسمع مع إيقاع هذه الكلمات صرير الأبواب وهي توصد إيصادها الأخير، وقد انتهى المشهد فلم يعد فيه بعد ذلك تغيير ولا تحوير[5]، وقد تقدّم المفعول به

---

[1] الجاثية: 16-17.

[2] الجاثية: 23-24.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص362.

[4] الجاثية: 34-35.

[5] ينظر: قطب، سيد: مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2006، ص182-183، وينظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن ج25، ص3233-3234.

الكاف في (غرّتكم) على الفاعل (الحياةُ) للدلالة على كثرة خداعهم بملذّات الدنيا وشهواتها، فاستحقّوا بذلك هذا المصير المخزي.

4-2: التقديم لا على نيّة التأخير في سورة الجاثية:

﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

لعلّ الابتداء بلفظ الجلالة (الله) جاء لإثبات وحدانيّته من جهة، وكأنّه قال (الله وحده)، ولتشويق المخاطب لما سيأتي بعده من جهة ثانية، ويزداد التشويق من خلال الاسم الموصول (الذي) ليأتي الخبر وهو الفعل (سخّر) للإخبار بما أوجد الله سبحانه من نعم لخدمة الإنسان، وليطلب الإنسان الرزق من فضله وكرمه، كما أنّه سبحانه سخّر ما في السماء من شمس وقمر ونجوم وكواكب، وما في الأرض من جبال وأنهار وبحار وغيرها ليتفكّر الإنسان، ويتدبّر بآيات الله الكونيّة، "وهذه الأشياء جميعاً كائنة منه، وحاصلة من عنده، يعني أنّه سبحانه مكوّنها وموجدها بقدرته وحكمته ثمّ مسخّرها لخلقه"[2].

فالفاعل في المعنى للفعل (سخّر) هو (الله) وهو المبتدأ في اللفظ، ولعلّ تقديم الفاعل (الله) على الفعل، وجعله مبتدأ للتفخيم والتعظيم وللتشويق كما ذكرنا.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُواْ بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قُلْ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

تُفتتح هذه الآية بأداة الشرط إذا لتبيّن عناد المشركين واستكبارهم، فإذا قُرئت عليهم آيات الله الواضحة ما كان لهم من حجّة بيّنة يحتجون بها إلّا أن يقولوا: إنْ كان البعث حقّاً فأحيوا آباءنا إن كنتم صادقين أنّنا نُبعث بعد موتنا، ويأتي جواباً لقولهم الباطل بـ (قل الله يحييكم)، وقد تقدّم الفاعل في المعنى وهو (الله) على الفعل (يحييكم) للتعظيم والتفخيم، وللتأكيد على أنّ الله وحده القادر على إحيائهم وبعثهم من جديد، وأمّا تقديم الفعل (يحييكم) على (يميتكم) فجاء للترتيب، فالله سبحانه يحييكم بخلقكم، ثمّ يميتكم بعد انقضاء آجالكم، ثمّ يجمعكم بعد موتكم في يوم القيامة للحساب والجزاء.

خاتمة:

خلص البحث من خلال تناوله للعدول في الرتبة في سورة الجاثية إلى مجموعة من النتائج أهمّها:

1) إنّ الرتبة هي ترتيب لمواقع الكلمات في الجمل، وهي قرينة لفظيّة تسهم في خدمة المعنى من خلال بيان موقع كلّ كلمة في سياقها المحدّد.

2) إنّ ثبوت موقع الكلمة في الرتبة المحفوظة أو حريّة تنقلها في الرتبة غير المحفوظة ليس حفاظاً على القواعد التي وضعها النحاة فحسب، وإنّما لمقاصد متناسبة مع السياق، وهذه المقاصد يرمي إليها المتكلّم في الرتبة غير المحفوظة أكثر من الرتبة المحفوظة لقدرته على التنقّل بين أجزاء الجملة.

3) إنّ التصرّف في الرتبة لا يكون اعتباطاً وإنّما لأغراض بلاغيّة، وإضافات دلاليّة وجماليّة.

---

[1] الجاثية12-13.

[2] الآلوسي، روح المعاني، مجلد13، ص142.

[3] الجاثية: 25-26

4) شكّل العدول مظهراً من مظاهر الإعجاز في سورة الجاثية من خلال الخروج عن المألوف بما ينسجم مع السياقات المتنوّعة، وبذلك أسهم في توصيل المعاني للمتلقي على أكمل وجه.

5) إنّ العدول في الرتبة في النصّ القرآني ليس مخالفة للقواعد، وإنّما هو نوع من التوسّع اللغوي يتطلّبه المعنى.

6) إنّ النصّ القرآني دقيق في وضع ألفاظه وتراكيبه؛ إذ يقدّم لفظة ويؤخّر أخرى مراعاة لسياق الحال بما يسهم في جلاء معانيه وتوضيح جماليّاته.

7) جاء التقديم على نيّة التأخير أكثر نسبة مقارنة بالتقديم لا على نيّة التأخير، وهذا يعني أنّ التقديم والتأخير كان عن قصد ونيّة ومخالفة الأصول والقواعد المفترضة بما ينسجم مع المعاني؛ إذ خرج إلى معانٍ متعدّدة كالاختصاص والقصر والتأكيد والتعظيم والتفخيم والتحذير والتنبيه والتذكير وغيرها من الأغراض التي كانت متناسبة مع مقتضى سياق الآيات.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1-الآلوسي: *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ضبطه وصحّحه: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1994.

2-ابن الأثير: *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، قدّمه وعلّق عليه: د. أحمد الجوفي ود. بدوي طبّانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت.

3-الجرجاني، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*، علّق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.

4-ابن جني: *الخصائص*، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية المكتبة العلمية.

5-حسان، تمام: *البيان في روائع القرآن*، عالم الكتب، ط1، 1993.

6-حسان، تمام: *اللغة العربيّة معناها ومبناها*، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1994.

7-خضر، السيد: *فواصل الآيات القرآنيّة (دراسة بلاغيّة دلاليّة)*، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009.

8-الزمخشري: *الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تحقيق وتعليق: عادل أحمد الموجود وعلي محمّد معوّض، مكتبة العبيكان الرياض، ط1 1998.

9-ابن السراج: *الأصول في النحو*، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996.

10- سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، د.ط، 1992

11- شادي، محمد ابراهيم: *شرح دلائل الإعجاز*، دار اليقين، مصر، ط2، 2013.

12- الشّريف الجرجاني: *كتاب التعريفات*، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، د.ط، د.ت

13- ابن عاشور: *تفسير التحرير والتنوير*، الدار التونسيّة، د.ط، د.ت.

14- عبد اللطيف، محمد حماسة: *العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث*، جامعة القاهرة، د. ط، 1984.

15- قطب، سيد: *في ظلال القرآن*، دار الشروق، القاهر، ط32.

16- قطب، سيد: *مشاهد القيامة في القرآن*، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2006.

17- اللبدي، محمّد سمير نجيب: *معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة*، مؤسسة الرسالة– بيروت، دار الفرقان– سوريا، ط1، 1985.

18- المسدي، عبد السلام: *الأسلوبيّة والأسلوب*، الدار العربيّة للكتاب، ط3.

19- ابن منظور: *لسان العرب*، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمّد أحمد حسب الله وهاشم محمّد الشاذلي، دار المعارف، مصر.

20- ويس، أحمد محمد: *الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية*، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2005.

21- ابن يعيش: *شرح المفصّل*، صحّح عليه وعلّق حواشي نفيسة بعد مراجعته على أصول خطّيّة بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، إدارة الطباعة المنيرية، مصر